نشأة الكون في العقيدة الإسلامية

إن مما جاء به الوحي حول قضية النشأة الكونية لعالمنا المشهود ترتكز على أربع مسائل هي:

١/ وجود الرب السابق لكل وجود.

٢ / خلق السماوات والأرض.

٣ / خلق الإنسان.

٤ / الحكمة من إيجاد الخلق.

المسألة الأولى: وجود الرب السابق لكل وجود.

الله سبحانه وتعالى كان قبل كل شيء لا يسبق وجوده وجود غيره، ولا عدم لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، قائم بذاته غني عن غيره، وكل خلقه مفتقر إليه.

حذر النبي صلى الله عليه وسلم أمته مما قد يقع في نفوسهم من الوسواس حول تسلسل الفاعل, وأرشد إلى طريق الخلاص.

المسألة الثانية : خلق السماوات والأرض

خلق الله سبحانه وتعالى الأرض أولاً وبعد أن خلق الله الأرض، استوى إلى السماء، ثم زينها بالكواكب > وبعد خلق الأرض والسماوات عاد الرب جل جلاله فدحا الأرض وبسطها، ثم أخرج منها الماء والمرعى، وخلق الجبال وجميع ما فيها في يومين > ثم إنه جل جلاله أتم خلق الأرض من إرساء الجبال وما سواها من الخلق في يومين آخرين، فكان تمام خلقها في أربعة أيام.

المسألة الثالثة : خلق الإنسان

كان خلق الإنسان متأخراً عن خلق السماوات والأرض والملائكة والجان فالإنسان الأول خُلق من تراب، ثم مزجت التربة بالماء فكانت طيناً ووصف الطين بأنه لازب ثم صار الطين اللازب أسوداً منتناً.

أما بنو آدم فخلقهم من مجموع ماء الرجل والمرأة وبذلك يتكاثرون.

المسألة الرابعة : الحكمة من إيجاد الخلق

خلق الله السماء والأرض وما بينهما عن علم وإرادة، وحكمة،

خلقت السموات والأرض لنفع العباد، ولتكون دلالة على قدرة الله ووعظمته سبحانه,

خُلق الإنس والجن لعبادة الله وحده ولعمارة الأرض.

النشأة الكونية عند حركة «العصر الجديد»

عند تأمل الآراء الوضعية المطروحة حول هذا الموضوع نجد أنها تنقسم إلى قسمين رئيسين:

· أما حركة «العصر الجديد» فـــقد كانت نظرتها لقضية النشأة الكونية > مضــطربة ومختلطة.

برزت في تلك النظرة ســـمة الجمع بين الخرافات الدينية والعلوم التجريبية والتلبيـس على المتلقي من خلال الخلط بينهما

يتـــضح موقف حركة « العـــصر الجديـــد » من قضية نشأة الكون بالمـــسائل التالـيـــة:

١/ الكائن الأول عند حركة «العصر الجديد».

٢ / ولادة الكون عند حركة «العصر الجديد».

٣ / نشأة الإنسان عند حركة «العصر الجديد».

٤ / غاية الوجود عند حركة «العصر الجديد ».

المسألة الأولى:
الكائن الأول عند حركة «العصر الجديد».

تستمد حركة «العصر الجديد» جل معتقداتها حول «الكائن الأول» -أو: أول الموجودات- من نتاج الفكر الفلسفي بالشرق، ومن الديانات الشرقية.

الكائن الأول عندهم هو وجود غامض مختلط لا يتصف بصفات الكمال الإلهي وليس مبايناً للمخلوقات، بل إن وجوده ليس سابقاً لوجود الكون، وإنما هو –في اعتقادهم- مادة الكون ومنبعه.

المسألة الثانية :
ولادة الكون عند حركة «العصر الجديد».

تتلخص الآراء المطروحة حول ولادة العالم ونشأة الكون عندهم في النقاط التالية :

إيجاد الكون من العدم :

يعتقد أنه جيء بالعالم إلى حيز الوجود من خلال الكلمة، أو الإرادة المجردة.

يمثل المعتقد السائد عند أتباع الديانات السماوية.

«العدم» قد يُطلق ويراد به معان غير تلك المستقرة عند أولئك، وهي:

أن مادة الوجود تخرج من ذات الموجد، فلا وجود لها مستقلاً عن وجوده.

أن الوجود ينتج عن التولد من الفراغ غير المتجسد > وهذا هو المقصود عند أتباع الحركة، والذي يعبر عنه بـ«الفراغ» أحياناً.

التي توصف بأعضائه, وهي عادة تمثل صورة رمزية مبسطة للاعتقاد بالتولد والصدور، حيث إن العالم لا يعتبر كــائناً مستقلاً عن مُوجده، بل هو جزء منه –أو هو إياه- كــما أن الأعــضاء أجــزاء مــن الذات ومجموعها يشكل كُلِّيَته.

الفيض والتولد:

ويراد به صدور الكون عن وجود سابق له.
هذا الوجود إما أن يكون:

«المبدأ الأول» . أو ما قد يعبر عنه بـ«الإله». أو وجوداً آخر صادراً عنه.

وهذا القول يصور قضية الخلق على أنها فعل اضطراري، لا حكمة من ورائه، ولا قصد.

فنشأة الكون عند حركة «العصر الجديد» لم تكن نتيجة إرادة خارجية صدرت عن خالق مباين، يتصف بالصفات الإلهية الكاملة وإنما هي صدور، وتولد ذاتي، وتطور مرحلي لا يشبه عقيدة الخلق من أي جانب.

نظرية الانفجار الكبير :

وظـــف أتباع حـركة «العصر الجديد» هذه النظرية العـلميـة في الاســتدلال على أن أصل الوجود واحـد غير متنـــوع وإنما تعدد وتفرع بفعل النشوء والارتقاء.

لا جدال عندهم عن ماهية الموجد وحقيقته فإنه عندما ظهر الوجود الأول من العدم مع الانفجار الكبير وعند نقطة الـــصفر، فـــإن المحرك لذلك كله كان «الوعي»، الذي هـــو الموجود الأول بل الأوحد. وهذا «الوعي» هـــو «الإله» في نظرهم، وهو حقيقة كل إنـــسان.

المسألة الثالثة :
نشأة الإنسان عند حركة «العصر الجديد»

إن بداية البشرية لا تخرج عن أحد احتمالين:

القول بالخلق:

حيث يُعتقد أن الإنسان الأول خُلق على صورته البشرية بإرادة إلهية، ثم حصل التكاثر من خلال التزاوج والإنجاب > وهو معتقد أتباع الديانات السماوية.

القول بالتطور (أو النشوء والارتقاء): وخلاصته أن الإنسان لم يوجد على هيئته مباشرة، وإنما بدأ كائناً أولياً تطور، وارتقى تدريجياً حتى توصل إلى صورته الحالية > وهو معتقد ملاحدة الطبائعيين والفلاسفة الباطنيين.

أما حـــركة «العصر الجديد» فإنها تخلط بين القولين فتبدأ قـــصة البداية عـــند أتباع الحركة بما يلي:

١/ ولادة الوعي من الفراغ، حيث أصبح الوعي الواحد مـــتعدداً، وظـــهر إلى الوـــجود عبر التأمل الذاتي.

٢ /أن ذاك «الوعي» المحض انحـــدر في مـــستويات الوجود حتى تحول إلى المادة.

٣ /أخذت المادة البدائية في التطور عبر النشوء والارتقاء حتى توصلت –تدريجياً- إلى كونها إنساناً عاقلاً.

المسألة الرابع :
غاية الوجود عند حركة «العصر الجديد»

الوسيلة التي يتمكـن الإنسان بها من التوصل إلى هـــدفه المنشود وفـــق معتقدات الحركة هي : تناسخ الأرواح .

غـاية الوجود عندهم > هي الـعـــودة إلى مـــا يعتقدون أنه حالة الإنسان الأصلية.

المبحث الثالث:

نقض معتقد حركة «العصر الجديد» في نشأة الكون

لا يشك مسلم في أن فلسفة حركة «العصر الجديد» هي مخالفة للعقيدة الإسلامية من وجوه متعددة، يمكن تلخيصها في التالي:

أولاً:
نشأة الكون غيب
لا يمكن أن يعرف
إلا من طريق الشرع.

ينقسم الغيب باعتبار الزمان إلى ثلاثة أقسام:

غيب ماض:

من ذلك قصص عن الماضي البعيد المتغلغل في أحشاء القدم.

غير حاضر:

وهو ما لا سبيل إلى رؤيته أو معرفته في الوقت الحالي.

غيب مستقبل :

وهو ما انقطعت دونه الأسباب، وقصرت عن إدراكه الفراسة مما يكون في المستقبل.

قصة بدء الخلق تنـــدرج تحت القســم الأول بل هي من الغيب المــطلق الذي لا يمـــــكن معرفته على وجه اليقــين ما لم يرد النص في بيـــــانه، لتقدمه عــلى العالم المـشـــهود.

إذا تقـــرر أن قضـــية النشأة الكونية، وبــدء خلق الإنسان من المسائل الغيبية > كان لا بــد من استمدادها من مصادرها الصحيحة؛ وهي الكتاب والسنة الصحيحة.

ثانيًا :
إنكار أولية الرب.

عند تأمل نظرة حركة «العصر الجديد» للنشأة الكونية نجد أن ثمة اتفاقاً على أنه قبل ولادة العالم لم يكن ثمة وجود عيني، بل كان هناك إما: «فراغ» أو «فوضى» وفي أحسن الأحوال «وعي» أو «عقل». وهذا يقودنا إلى إحدى نتيجتين حول أسبقية «الإله»:

ينقسم الغيب باعتبار الزمان إلى ثلاثة أقسام:

أن يقال: إن «الإله» وُجد بعد الفراغ، أو العدم، أو صدر عن أحدهما. فيلزم من هذا القول بأن الإله مسبوق بعدم .

وكلا القولين مقول في فكر الحركة وكلاهما كفر صراح.

أو أن يقال: إن «الإله» هو ذلك الوعي أو العقل. فيلزم من هذا القول وصف الرب بالإطلاق، وسلبه صفات الكمال.

ثالثاً:
وصف الرب جل جلاله بصفات «المطلق» أو «الفراغ».

القول بأن الوجود الأول الذي صدر عنه العالم هو الإله يفضي إلى وصفه بصفات ذلك الموجود:

فإن قيل: بأنه «الفراغ» كان وصفاً للرب بالعدم > وهو كفر باتفاق الملل التي تؤمن بإله.

وإن قيل: بأنه «الوعي»، فإن الوعي صفة لا تقوم بذاتها، ولا وجود له على وجه الاستقلال، فكيف يُتصور أن يكون هو الإله؟

وإن قيل: إنه وجود مطلق فإن ذلك نظير إنكاره بالكلية.

رابعاً:
القول بالفيض أو التولد.

· ولد الكون عند حركة «العصر الجديد» عن طريق الفيض أو التولد، وهذا يعني أنه صدر عن الوجود الأول لا عن طريق المشيئة والإرادة فهو إيجاد اضطراري، وليس اختيارياً.

وفي هذا القول محذوران خطيران:

إنكار الخلق، الذي هو الإيجاد من العدم بعلم واختيار.

· هذا القول - عند التحقيق - هو قول بأن الحوادث تحدث بلا مُحدث.

كما يلزم من القول بالفيض والتولد أن العالم جزء من الوجود الأزلي الذي صدر عنه وهو قول بقدم العالم، أو بقدم مادته.

هذه الفلسفة الكونية –مع معارضتها السافرة للشرع- لا تتفق بأي حال مع العقل فالمخلوق لا ينتقل من العدم إلى الوجود إلا بإرادة خارجية تنقله من حال إلى حال وهي الأمر الإلهي، أو كلمة: كن.

خامساً:
القول بأن الكون هو الله أو جزء من الله.

فيه وصف الألوهية على الوجود الذي تولد من الكون. وبذلك يعتبر الكون عند أتباع حركة «العصر الجديد» هو الإله، أو أن الكون جزء منه، فالوجود لـــــم يوجد من العدم وإنما من ذات الإله، طبيعتها كطبيعته، بل هي إياه.

سادساً:
القول بالتطور
أو النشوء والارتقاء.

· التطور النوعي نوعان:

النوع الأول:

هو التطور الدقيق : ويراد به بعض التغيرات الكيميائية الثانوية التي تحصل في تكوين المخلوق فتؤثر عليه، بتغيير في الحجم، أو الشكل، أو اللون دون حلصول تغيرات جذرية معقدة.

وكلا القولين مقول في فكر الحركة وكلاهما كفر صراح.

النوع الثاني:

وهو التطور الكلي : ويراد به تحول جذري يعتري الكائن الحي وهو تحول قابل للتوريث من شكل حياتي إلى آخر، ويتسبب في تغيير النوع، والأعضاء الحيوية للكائن الحي، وهذا النوع ظاهر المخالفة لما جاء به الشرع، وهو مخالف للعقل والمنطق أيضاً.

«نظرية التطور»

- مخالفتها للشرع > لما تتضمنه من مصادمة النصوص وإنكارلعقيدة الخلق.

- مخالفتها للعقل > في اعتمادها على الصدفة عند دارون، وعلى «الوعي» عند حركة «العصر الجديد».